ASJP Algerian Scientific Journal Platform
دراسات معاصرة
Contemporary Studies
مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد :06/ العـدد:02 / ديسمبر (2022)، ص.334/344

الهوية وصورة الأنا والآخرفي رواية "باطن الهواء(من أيام فلسطين) " لـ "ياسمين يعقوب زهران"

Identity and the image of the ego and other in the novel "Inside the air (In Palestine’s days)" by Yasmine Yaqoub Zahran

أمينة مامن*
amina.mamen@univ-khenchela.dz
جامعة عباس لغرور- خنشلة
(الجزائر)

أ.د مجيد قري
madjid.guerri@yahoo.fr
جامعة عباس لغرور- خنشلة
(الجزائر)

مخبر المتخيل النقدي المعاصر والدراسات الحداثية في الفكر واللغة والأدب جامعة عباس لغرور- خنشلة

تاريخ الاستلام: 2022/01/05 تاريخ القبول:2022/11/14 تاريخ النشر: 2022/12/02

ملخص:

يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على صورة الأنا الفلسطينية وصورة الآخر اليهودي والعلاقة بينهما في رواية "باطن الهواء (من أيام فلسطين)" للروائية الفلسطينية المعاصرة "ياسمين يعقوب زهران."

برزت هذه العلاقة من خلال ثنائية الصراع والتنافر عبر تطبيق المنهج الوصفي التحليلي،حيث حاول البحث الكشف عن خصوصية هوية الروائية وانتمائها من خلال تقديم صورة للأنا عبر شخصيات مختلفة، والتي تعزز لديها الشعور بالانتماء في مختلف أماكن وجودها. هذا ما دفع الروائية إلى محاولة إثبات هذه الهوية وترسيخها في ظل وجود آخر يسعى بدوره إلى محاولة طمس هذه الهوية وإلغاء وجودها.

ويخلص في النتيجة إلى التنويه بانتماء الروائية وتأكيدهويتها الوطنية التي تجلت من خلال رغبتها في العيش حرة على أرض وطنها وعدم تقبلها للآخر اليهودي، ووصولها إلى استحالة التواصل معه ورفضه رفضا قاطعا.

كلمات مفتاحية:هوية، صورة،أنا.،آخر،رواية فلسطينية.

Abstract:

This study attempts to shed light on the relationship between the image of the Palestinian ego and the Jew other in the novel "Inside the Air (In Palestine’s days)" by the contemporary Palestinian novelist Yasmine Yaqoub Zahran.

By applying the analytical and descriptive approach, this relationship has been importantly featured through the duality of conflict and incompatibility. Additionally, it attempts to reveal the peculiarity of the novelist’s identity and belongingness by presenting an image of the ego through different characters. Wherever these characters went, they basically strengthened the novelist’s feeling of belongingness. This has encouraged the novelist to prove and impose her identity in the presence of the other who seeks to obliterate and cancel its existence.

Finally, this work highlights the novelist belongingness and emphasizes her national identity which were manifested through her desire to be free in her

* المؤلف المرسل

homeland, her absolute refusal to the Jew other as well as her categorical rejection to him.
Keywords: *identity; image; ego; other; Palestinian novel.*

1.مقدمة :

لقد كان للأوضاع المأساوية المتعاقبة التي مر بها الشعب الفلسطيني خلال ما يزيد عن قرن وما نجم عنها سياسيا وثقافيا واجتماعيا الأثر الكبير في الأدب الفلسطيني الذي صور معاناة هذا الشعب داخل أرضه المحتلة، ورصد حالة التشتت والضياع والاغتراب التي كان يكابدها. وبما أن الرواية من أهم الفنون الأدبية النثرية التي تعنى بتناول موضوعات تخص حياة الإنسان الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية،فالرواية الفلسطينية تعيد تشكيل الواقع الذي مر به الشعب الفلسطيني من حروب ونكبات وانتفاضات، وما عاناه من قهر وعذاب وألم وتشرد وضياع، فكلمات الروائي الفلسطيني كانت تجسد تجسيدا واقعيا لما يلاقيه الإنسان الفلسطيني من معاناة، ولما تلاقيه الأرض الفلسطينية من دمار وتخريب، وما يعيثه الاحتلال في الأرض من فساد، فكانت الكلمة في الرواية الفلسطينية تصطف مع الحق الفلسطيني في أرضه، وتحثه على النضال والذود عن عرضه.ولهذا اتجهالأدباء الفلسطينيون نحو كتابتهامن أجل إثارة قضية وطنهم،وتقديم تجربة الشعب الفلسطيني القاسية والطويلة، فتناولوا فيها موضوعات عدة كان أبرزها الصراع مع المحتل الصهيوني وما رافقه من مذابح وتشريد وسجن وبطولات الشعب في مواجهة غطرسة الاحتلال وبطشه الذي لا يرحم. ولم تكن الكاتبةالفلسطينية بعيدة عن قضية وطنها المحتل، إذ إنها شغلت حيزا واسعا في المشهد الروائي وتمكنت من اتخاذ موقع مهم في الخطاب السردي المعاصر، وقد مثلت الهوية انشغال الكاتبات الفلسطينيات الأول ومصدر تفكيرهن ورغبتهن في كشف المضمر واسترجاع الحق واثبات الوجود من خلال جدلية الأنا والآخر، ومن هنا وقع اختيارنا على رواية "باطن الهواء (من أيام فلسطين)" للكاتبة الفلسطينية "ياسمين يعقوب زهران" في محاولة منا للإجابة عن التساؤلات الآتية: كيف صورت الكاتبة الأنا الفلسطينية؟ ومن الآخر وما صورته بالنسبة لها؟ وإلى أي مدى كانت الكاتبة ملتزمة بموقفها اتجاه الآخر عبر روايتها؟

لذا تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن تجليات الهوية في الرواية من خلال ثنائية الأنا والآخر وذلك انطلاقا من تحديد صورة الأنا والشخصيات الممثلة لها، وكذا صورة الآخر والشخصيات الممثلة له والعلاقة بينهما، من خلال اعتماد آليات المنهج التحليلي.

2.مفهوم الأنا والآخر :

1.2 مفهوم الأنا :

يعتبر تحديد مفهوم الأنا من بين الأمور الصعبة في مجال العلوم الإنسانية ذلك أن البحث فيه متشعب، ولا يمكن أن يتسم بالدقة كونه مفهوما مختلفا ومتعدد الدلالات بتعدد استخدام المنظرين واختلاف مدارسهم، فيرمز له مرة بالأنا وأخرى بالذات.

نجد الأنا في المعجم اللغوي من الضمائر المنفصلة وهو يدل على الفردية والاستقلالية، إذ يعرفه "ابن منظور" في "لسان العرب"كالآتي: "أنا لا تثنية له من لفظه إلا بـ: نحن، ويصلح نحن في التثنية والجمع... واعلم أنه يصل بها تاء المخاطب فيصيران كالشيء الواحد، من غير أن تكون مضافة إليه، تقول: أنت، وتكسر للمؤنث و أنتم و أنتن، وقد تدخل عليه كاف التشبيه فنقول: أنت كأنا وأنا كأنت، حكي ذلك عن العرب"[1]، وقد استقر مفهوم الأنا فيه على أنه شيء واحد، وعلى كونه ضمير متكلم.

و نجد في علم النفس أن "سيغموند فرويد" قسم الشخصية إلى مفاهيم عدة وهي : الهو، الأنا، الأنا الأعلى، وقام بتسمية " النفس البشرية بشخصيتها وذاتها بالأنا، والأنا هي الذات"[2] ، والذات عنده هي "مجموع الأفكار والمعتقدات والأداء وكل ما يمت إلى الفرد بصلة في مجال حياته"[3] ، بمعنى أن الذات مرتبطة بالفرد ارتباطا وثيقا بكل ما يتعلق بحياته، واعتبر "فرويد" الأنا السلطة التي تدير الشخصية وتحافظ على مصالحها وسلامتها، وهذا يعني أنها هي

المتحكمة في الهو والأنا الأعلى، "وعندما تقوم بوظائفها بشكل صحيح وسليم، يظهر التوافق والانسجام في الشخصية، أما حين يسيطر الهو أو الأنا الأعلى وتخضع الأنا لإحداهما، فإن ذلك يؤدي إلى عدم الاتزان"[4] ذلك أن الأنا عنده هي العضو المسؤول عن توازن النفس، ومركز الشعور عند الإنسان.

ثم نجد "يونغ" يتجه اتجاها مغايرا لأستاذه "فرويد" على الرغم من أن بحوثه تأسست على نظرية هذا الأخير، حيث إنه يعتبر الأنا مركزا للوعي في مواجهة اللاوعي، "ويبدو أن كارل غوستاف يونغ قد أطلعنا على مراده من الأنا التي تحتضن مفهوم الخافية الشعورية التي أخذت شكلها المعروف تدريجيا باعتبارها جماع الرغبات المتعارضة والمكبوتة بما في ذلك الذكريات المؤلمة والمكبوتة "[5] ، فالأنا المحتفظة بجميع العناصر الضرورية تقوم بتعديل النفس وحمايتها من كل أفكار ومشاعر لاواعية، ذلك أنها تلك الأجزاء الشعورية من الشخصية التي تحاول السيطرة على الانفعالات اللاشعورية، فهي جملة الأفكار الواعية وغير الواعية والعواطف التي تشكل منها الذات الإنسانية.

وفي علم الاجتماع، نجد "تشالز كولي" الذي عرف الأنا بأنها "مركز شخصيتنا، وأنها لا تنمو ولا تفصح عن قدراتها إلا من خلال البيئة الاجتماعية، وأن الشعور بالأنا لدينا لا يبرز دون أن يكون مصحوبا بذوات الآخرين"[6] ، ومنه فإن الأنا بالنسبة له هي نتيجة تفاعل الفرد مع الآخرين، ولا يمكن فهمها أو دراستها إلا من خلال الأشخاص المحيطين بها، فتقدير الفرد لذاته يختلف باختلاف المواقف المتغيرة والأشخاص المحيطين به. ويرى "جورج هوربت" أن الذات تتطور لدى أي فرد "كنتيجة لعلاقة هذا الفرد بالعمليات والنشاطات والخبرات الاجتماعية من جهة الأفراد، وبالأفراد الآخرين من جهة أخرى"[7] ، فهو يعتبر أن الذات تنشأ وتتطور من خلال عملية التفاعل الاجتماعي، إذ يبدأ الفرد بالتعرف على ذاته واكتشافها وتطويرها من خلال آراء الآخرين فيه، "وهي عملية دائمة ومستمرة وتراكمية تفاعلية، بما تتضمنه من تأثر وتأثير"[8] ، بمعنى أنه لا يمكن للذات أن تدرك وجودها إلا من خلال التفاعل والاحتكاك بالآخر بغض النظر عن طبيعة العلاقة التي تجمع بينهما.

أما بالنسبة للفلسفة الحديثة، فإننا نجد عدة معان للأنا، ومن بينها المعنى النفسي والأخلاقي. "تشير كلمة (أنا) في الفلسفة التجريبية إلى الشعور الفردي الواقعي فهي إذن تطلق على موجود تنسب إليه جميع الأحوال الشعورية"[9]. أما في المعنى الوجودي" فتدل كلمة (أنا) على جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي، سواء كانت هذه الأعراض موجودة معا أم متعاقبة، فهو إذن مفارق للإحساسات والعواطف والأفكار، لا يتبدل بتبدلها ولا يتغير بتغيرها"[10] ، وبالنسبة للمعنى المنطقي، "فتدل كلمة (أنا) على المدرك من حيث إن وحدته وهويته شرطان ضروريان يتضمنهما تركيب المختلف الذي في الحدس، وارتباط التصورات التي في الذهن"[11] ، وبذلك يكون الأنا ضميرا لفظيا تجتمع فيه الأحاسيس والمشاعر والوعي والإدراك. وبما أن الفرد يتغير مع مرور الزمن، ولا يمكن إدراك الفرق بين الأنا وعينها إلا من خلال المقارنة، فإننا عندما "نتساءل إن كان شيء معين هو عينه(**same**) أم لا، فإننا نرجع دوما إلى شيء وجد في زمن محدد، ومكان محدد، ونحن متأكدون بأنه في تلك اللحظة كان هذا الشيء مساويا لنفسه (هو عينه مع ذاته **the same self with it**)"[12] .

2.2 مفهوم الآخر :

يعتبر الحديث عن الآخر جزءا من حديثنا ونظرتنا إلى أنفسنا نظرا لارتباطه الجدلي بالأنا، حيث إن صورة الآخر تستدعي حضور الأنا وصورتنا لذاتنا تستدعي حضور الآخر، ومنه فإن تقديم مفهوم له لا يمكن أن يكون بعيدا عن حمولات فكرية تتقاطع مع مفهوم الذات.

يعرف "ابن منظور" الآخر في "لسان العرب" أنه: "اسم على أفعل والأنثى أخرى...الآخر بمعنى غير كقولك: رجل آخر وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استقلتا، فأبدلت الثانية ألفا لسكونها، وانفتاح الأولى قبلها"[13] ، فالآخر أصله من التأخر، ومؤنثه أخرى وجمعه آخرون، وهو لا يفيد الضدية وإنما يقال ويقصد به أحد الشيئين، وفيه معنى الصفة والنعت كما في مرادفه "غير."

للآخر "حضور دائم عند الذات في جميع مراحل الحياة، وكما يؤكد علماء النفس فإن حضور الذات ليس شيئا عارضا، إلا أن الآخر في الوقت نفسه ليس شيئا ثابتا باستمرار، بل تتغير خصائصه بتغير الظروف والمواقع"[14] ، وتعتبر الذات أهم عامل يساهم في تنوع الآخر" مما يعني أن كل وعي للذات هو في الوقت نفسه وعي بالآخر"[15] ، ومنه فإن

وجود الآخر يشكل ضرورة يتحقق بها وجود الأنا، وبحضور الآخر تدرك الذات الاختلاف والتمايز الذي تفتقد إليه، فتنظر إلى حاجتها فيه، لأن " الآخر حضور يحتد فيه شعور الذات بذاتها وتزداد رغبتها في الاكتمال عبر الامتزاج به أو بما يرمز إليه"[16] ، وهذا ما يؤكد دوره ووظيفته في بلورة الهوية من جهة، حيث إن حاجة الإنسان للكشف عن الهوية - باعتبارها موضوعا إنسانيا- عبر الاتصال والاحتكاك بالآخر هي حاجة قديمة، وفي هذا السياق نجد "مُحَمَّد مسلم" يشير متحدثا عن مفهوم الهوية قائلا: " ولكن هذا الشعور بهذه الوحدة الذي يزيده اطمئنانا وتماسكا لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال المواجهة مع الآخرين، لأن الآخر أو الغير يعكس للفرد الصورة الحقيقية التي يكونها عن نفسه، ومن هذا المنطلق فإن مفهوم الآخر يلعب دورا حيويا في تكوين الهوية"[17] ، ويضيف قائلا: "لذلك فإن الصورة عن الذات لا يمكن لفرد أن يكونها بعيدا عن الآخرين، بل يجب أن تظهر بالمقارنة معهم"[18] ، فهو يؤكد أن هوية الفرد تتكون من خلال علاقته بالآخر واحتكاكه به. وتنظيم الخصومة وشرعتها من جهة أخرى ذلك أن الآخر هو "المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي"[19] وهذه المبادئ تجعل من الأنا أنا ومن الآخر آخر، "فهو من لا أجداد له أنفسهم، أو لا الآلهة نفسها، ولا حتى اللغة نفسها التي لنا"[20] ، ومنه فإن هذه " الغيرية هي صورة أو مفهوم الشخص أو الجماعة للأشخاص الآخرين أو الجماعات الأخرى "[21] حيث إن الأنا هي التي تقوم برسم حدود للآخر وتضع مواصفات له ويكون هذا على حسب نظرتها له، "فكما يكون الآخر فردا يكون في أحيان أخرى جماعة، وكما يكون الآخر معروفا للذات وقريبا منها، فإنه يكون في أحيان أخرى في أماكن بعيدة وحتى في أزمنة مختلفة"[22].

ومن خلال هذا يمكن تقسيم الآخر انطلاقا من نظرة الأنا له إلى داخلي وخارجي: يقصد بالآخر الداخلي "كل آخر يشترك في المواطنة مع غيره، حيث يأتي الاختلاف من داخل ما يسمى جماعة (النحن) نفسها، وتصبح الفكرة أو العقيدة أو الإيديولوجيا وطنا جديدا، أو مجتمعا يجمع المنتمين إلى الفكرة"[23] ، فالآخر هنا ليس شرطا أن يخالف الذات في كل شيء، وإنما قد يخالفها في ناحية معينة كالنوع (رجل و مرأة / ذكر وأنثى) أو الدين (مسلم، مسيحي، يهودي...) أو الإقامة (ريفي، حضري)... أما بالنسبة للآخر الخارجي فهو كل من " لا ينتمي إلى جماعة النحن، وهو يشير إلى كل ما يقع خارج الذات الجماعية"[24] ، ويقصد به المختلف في الرقعة الجغرافية واللغة القومية والتاريخ المشترك والإرث الحضاري والثقافة الجمعية والنظام السياسي والتصنيف العرقي، وكل هذه العوامل تحيل بالدرجة الأولى إلى الهوية القومية، وهكذا يقدم الآخر نفسه كل مرة في ماهية مختلفة حسب نظرة الأنا له.

انطلاقا مما سبق، يمكن القول بأن احتياج الآخر للأنا واحتياج الأنا للآخر لهما الدرجة نفسها، فهذا الأخير" يشكل مساحة أخرى لحركة الأنا، وامتدادا طبيعيا لتلاحمها معا في شبكة معقدة من العلاقات، الآخر اختراع من الأنا، ونتاج انفتاحه، ولولا الأنا ما كان الآخر، ولولا الآخر ما كانت حركة الأنا"[25]، فإذا كان الأنا واحدا بفرديته، فإنالآخر متعدد ويشهد تحولات لصورته انطلاقا من الأنا التي أنتجته. ويمكن أن نقول "إن الهوية إذا إحساس الأنا بالانتماء، سواء كان هذا الأنا فرديا أو جماعيا، فإنه لا يتحدد إلا بالآخر، فلو عدنا إلى فلسفات الأنا التي وسمت في تاريخ فلسفة الحداثة بفلسفات الكوجيتو؛ أي الذات أو الأنا المفكر، فسنلاحظ بأنها كلها تخلص إلى إحدى النتيجتين: إما الاعتراف بالغيرية، واستدخالها ضمن كينونة الأنا وربط الأنا بها، وإما السقوط في الأنا المتوحد بما يفيده من توحد وانغلاق"[26] ، فالهوية تقاطع فلسفي همها الرغبة في الوجود والبقاء، وهذا ما يجعل كل فرد حاملا ثقل هويته ومرتحلا من فضاء إلى آخر يصارع من أجل الوجود، وليحظى بكل أشكال الاعتراف المتاحة لهويته.

3.2 صورة الأنا والآخر في الرواية :

إن العلاقة بين الأنا والآخر تنبني أساسا على المفارقة والاختلاف الموجود بينهما بغض النظر إن كانت بين شعوب أو جماعات، وهي تنتج صور الذات وصور الآخر، "ومن دون معرفة الآخر عمليا يظل التعامل معه في حدود الصورة التي نراها أو نريدها أن تكون، حتى ولو كانت هذه الصورة غير مطابقة للواقع"[27]. وهذه العلاقة وما تنتجه من صور هي التي شغلت الإبداع الأدبي في مختلف الثقافات، ويأتي في مقدمته الرواية التي تهدف إلى تحليل المجتمع ودراسته من خلال نقده وتصوير أزمة الإنسان وصراعه مع الآخرين، لذا تعتبر أرضية خصبة لتمثيل الهوية، فهي تعتمد على السرد، وكل سرد يتطلب ثنائية الأنا والآخر، ومنه فإن "كل سرد روائي يتضمن بالضرورة أنا وآخر، سواء كان السارد أنا أم آخر،أم كان السارد افتراضيا آخر كامنا خارج هذين القطبين، فالتماس هو الذي يمنح السرد وجوده ويجعله

سردا، سواء كان هذا التماس توافقيا في حده الأقصى...أم تنافريا عبر مختلف أشكال الحروب وعمليات الخصومة والقتل والعداء وما إلى ذلك"[28] . فالذات والآخر المختلفان في الانتماء إلى هوية واحدة لا يتحققان إلا في إطار السرد الذي يحافظ على خصوصيتها التي يمكن أن تفرق بينهما في الهوية السردية التي يقول بول ريكور في شأنها بأنه لا ريب أن إشكالية التماسك والبقاء أو بعبارة وجيزة إشكالية الهوية توجد هناك في السرد، وقد ارتفعت إلى مستوى جديد من الوضوح، ومن الإعضال أيضا، إذ يؤلف السرد الخواص الدائمة لشخصية ما، هي ما يمكن أن يسميه المرء هويته السردية، وذلك عبر بناء نوع من الهوية المتحركة في السرد وخلق هويته الشخصية"[29] .

وتجدر بنا الإشارة أن صورة الآخر غير ثابتة، بل يمكن أن تتغير حسب الأوضاع وحسب رؤية من يرسم هذه الصورة، ذلك أن العلاقة بين الأنا والآخر متشابكة وغالبا ما تقوم على التضاد والاختلاف حتى وإن كانت الأنا لا توجد إلا في مقابل الآخر، ومنه يمكن لنا دراسة طبيعة العلاقة بينهما في الرواية التي وقع عليها الاختيار من خلال:

- الأنا الجماعية مكونة من مجموع الشخصيات التي تنتمي إليها الكاتبة (سكان القرية) .
- الأنا الفردية ويمثلها المؤلف، ونقصد بها كيف ظهرت الأنا في الرواية (الروائية الفلسطينية ياسمين يعقوب زهران) .
- الآخر الذي لا ينتمي إلى هوية الكاتبة كونه يمثل الطرف الآخر في الصراع مع الأنا والذات الجماعية، وموقف كل منهما منه (المحتل الصهيوني)[30] .

3. صورة الأنا والآخر في رواية "باطن الهواء (من أيام فلسطين)" :

تناولت الكاتبة "ياسمين يعقوب زهران" من خلال روايتها "باطن الهواء (من أيام فلسطين)" معاناة الشعب الفلسطيني منذ نكبة 1948 وصولا إلى الانتفاضة الأولى والحرب البشعة التي شنها المحتل الصهيوني على فلسطين وما رافقها من أحداث مختلفة، حيث اختارت شخصية "ربيع" الذي عاش طفولته في ظل محتل لا يتوقف عن القتل والتدمير ليكون بطل الرواية، فكانت نشأته في قرية باطن الهواء، ثم انتقل إلى ألمانيا لإكمال دراسته في مجال الكيمياء، لكنه قرر العودة إلى وطنه فلسطين وكله أمل في تحريرها من يد هذا المحتل الظالم، ليختفي في النهاية تاركا وراءه تساؤلات كثيرة حول سبب اختفائه.

1.3صورة الأنا في الرواية :

1.1.3 صورة البطل الفلسطيني في عيون الأنا الفلسطينية :

قدمت الكاتبة من خلال شخصية "ربيع" بطلا منتميا إلى وطنه، يحمل ولاء وتعلقا شديدا به منذ صغره، منتسبا إلى هويته الوطنية ومتمسكا بها أشد التمسك، مدافعا عنها بكل ما أوتي من قوة،حيث إنه ولد بعد الاحتلال الثاني، ونشأ في جو أسود مرير تمليه الحياة في ظل الاستعباد والظلم المسلط من قبل الاحتلال الصهيوني.

عاش ربيعمع أمه الشابة في بيت مطل على الوادي بقرية باطن الهواء، وكان متعلقا بها-القرية-تعلقاشديدا،الأمرالذيجعله يحمل في قلبه إحساسا قويا بالانتماء إلى وطنيته ودينه ومجتمعه ولغته، والانتساب إلى أرضه، وهذا ما جعل منه محط إعجاب سكان قريته. وكان واعيا على الرغم من صغر سنه بالمخططات المدبرة ضد وطنه، فنجده يقول: "إنهم يخططون لجيل أمي، إنهم يريدون لنا الجهل، يريدون لنا الظلام، ولكننا سنخرج إلى النور، وسنحبط كل خططهم وحساباتهم"[31] ، وهذا ما دفع به للانضمام إلى شعبة تنتمي إلى مجموعة طلابية تعمل في منطقة القدس. فبينما كان أقرانه يقضون أيامهم بين الدراسة والاحتجاجات الطلابية أحيانا، سلك ربيع منحى آخر حيث جعل من الوادي مكانا سريا لصنع القنابل الحارقة. لقد كان ربيع يمثل النخبة، وهو على دراية تامة بأن محاربة الاحتلال الصهيوني تكون من خلال التمسك بالأرض والبقاء فيها حفاظا على الوجود من الاندثار، وعلى الهوية من التلاشي. فطالما حمل شعورا بالمسؤولية جعل كل عمل يقوم به لصالح الجماعة المنتسب إليها محط إعجاب وفخر لكل سكان قرية باطن الهواء. فقد كانوا يرون فيه صورة البطل الذي سيخرجهم من ويلات الاحتلال، وهذا هو البطل الاستثنائي الذي كان لابد من ولادته داخل الشعب الفلسطيني لتحقيق آمالهم وأحلامهم المتمثلة في طرد هذا المحتل المغتصب والعيش بحرية على أرض فلسطين.

2.1.3 من غربة الهجرة إلى الوطن المقدس :

دفعت الظروف القاسية التي فرضها الاحتلال الصهيوني على القرية بربيع للسفر إلى ألمانيا من أجل الالتحاق بالجامعة ومواصلة دراسته في مجال الكيمياء رغبة منه في إكمال خطته المتمثلة في صنع القنابل اليدوية. بمجرد وصوله إلى ألمانيا، انتبه أن هناك ثلاث فئات من السكان؛ فالأولى ولها الغالبية لا يهمها قطعاً أمر فلسطين حيث إنهم لم يعيروا القضية الفلسطينية أدنى اهتمام بالرغم من أنها قضية إنسانية، والثانية وهي الأقلية تتفهم وتتعاطف حيث إن هناك مجموعة من الأشخاص الذين ساندوا القضية بحكم احتكاكهم بالفلسطينيين واطلاعهم عليها، والثالثة حاقدة، نظرتها إلى فلسطين تطابق الدعاية الصهيونية وتساندها. فهم ربيع أنه مهما درس وتعلم وأخذ من ثقافة هؤلاء فإن لا مكانة له بينهم لأنه بكل بساطة فلسطيني، فتملكه حزن شديد سببه الحنين إلى الوطن من جهة، وتفكيره الدائم في إيجاد حل لمساعدة أهله الذين يعانون من ويلات الاحتلال من جهة أخرى. دفع به هذا الأمر إلى العمل أستاذاً مساعداً في مختبر خاص، فهو من شعب أعزل يقاوم بالحجارة وعليه مساعدته في إيجاد بديل من ذلك. ظل ربيع متمسكا بانتمائه إلى وطنه فلسطين، مدافعا عن هويته التي تبلورت عقب الظروف التي مر بها الشعب الفلسطيني، فكان يتملكه ذلك الشعور العميق بالهوية الذي يتكون من خلال تفاعل الذات مع محيطها الاجتماعي، فنجده مرة يرد على أستاذه الروسي الذي أخبره أن الإنسان بإمكانه أن يجعل العالم كله موطنه قائلا: "أنا لا أستطيع أن أتخذ من بلد غريب موطنا، فإذا أردت أن تعرف هويتي، أقول لك: أنا الزيتونة على جبال فلسطين، أنا التينة الخضراء على السفوح، أنا عين الماء التي تنبع في واد عميق اسمه باطن الهواء"[32]. فهذه الصورة تمثل ذلك الفلسطيني المنتمي الذي يملك إحساسا متماسكا بالذات ويعتمد قيما مستقرة ثابتة.

نجد في الرواية كذلك مشهدا بين ربيع وصديقته الألمانية التي أقرت بأنها فخورة بمعرفته، وعندما سألها عن سبب ذلك أخبرته أن أهلها- وهم من النبلاء القدماء- أعجبوا به لأنه يجيد الحديث، ويعرف كيف يتصرف في صالون، كيف يأكل، فحكموا عليه أنه أرستقراطي عريق. لكنه رد قائلا: "إن معاييرنا تختلف عن معاييركم، تراثنا السلوكي له قواعد موروثة سحيقة في القدم، وهي التي تحدد السلوك من التحية إلى الوداع، وتمنعنا عن تخطي الحدود في أي علاقة كانت..إن أرستقراطيتكم حديثة فجة بالنسبة إلى أرستقراطيتنا"[33]. فرغم افتقاد ربيع للغته بحكم تواجده في بلد أجنبي، إلا أنه بقي متشبثا بالقيم والعادات والتقاليد التي نشأ وتربى عليها بوطنه، مؤكدا على ثباته وقوته، محافظا على هويته رغم طول مدة إقامته بألمانيا.

مرت الأيام والأشهر على ربيع بديار الغربة كأنها سنوات طويلة، وكانت فرحته كبيرة عندما سمع أن الانتفاضة الأولى بدأت، فأصبح يتابع أخبارها بشغف دون ملل. وفي الوقت نفسه تمكن من رسم صورة لنفسه أمام من حوله، "صورة فتى قروي دخل المدينة الغربية متعطشا إلى الحياة، يلهو وفوق هذا جاد في دراسته لا يغيب أبدا عن المحاضرات، أي صورة لفلسطيني عادي يدرس في الغرب"[34]، بحيث لا ينتمي إلى حزب سياسي أو منظمة سرية. لكن هذه الصورة رسمها ربيع لجهاز الموساد الذي يتابع كل تحركات الطلاب العرب-خاصة الفلسطينيين منهم- وفي هذا الصدد نجده يقول:" أصبحت إنسانا ذا وجهين، أعيش على مستويين، أولهما على مقاعد الدراسة وثانيهما في عالم مكتوم"[35].

بعد مرور خمس سنوات قرر ربيع أن لا مكانة له بين هؤلاء، وأن العودة إلى الوطن المقدس أمر بات واجبا عليه لأنه بكل بساطة أصبح ابن فلسطين الذي درس الكيمياء وتعلم صنع القنابل اليدوية من أجل الدفاع بها عن وطنه بدل الحجارة، وبالتالي بات من الضروري محاولة التواصل مع أبناء وطنه المعذبين والمشردين " ليفقد جزءا من ذاته ويصبح هذا الجزء منتميا إلى سواه، إنه سيتوقف عن كونه ذاته بالنسبة إلى نفسه، وسيصبح هو الآخر بالنسبة إلى شخص آخر"[36].وعلى الرغم من أنه استلم عروضا للعمل في مختبرات شركات ألمانية لها مكانة عالمية،إلا أنه قرر العودة إلى وطنه فلسطين،فودع الطلاب الفلسطينيين وخفف عنهم ألم الغربة والفراق قائلا: "سنحرمهم العيش الهنيء، وراءنا ثمانون سنة من الكفاح، لنا البقاء"[37]. فهويته الفلسطينية هي القوة الخفية والحقيقية التي حركت ذاته وجعلتها قادرة على الشعور بالانتماء لوطنه وضرورة العودة إليه.

3.1.3 صورة البطل الفلسطيني في عيون الآخر اليهودي :

لم يتقبل ربيع الوضع الذي وجد عليه وطنه بعد عودته من ألمانيا، فمنظر القرية المخربة المدمرة نتيجة التعسف الإسرائيلي بعث في نفسه شعورا بالمسؤولية اتجاه باطن الهواء، فشعر بانتمائه وهويته الفلسطينية التي باتت مهددة من

قبل محتل مدمر، "فالهوية موضوع واحد يتحدد لونه بطبيعة الآخر الذي تواجهه الذات لتتضخم هذه الذات وتعبر عن الهوية الوطنية"[38] .فالتحق للعمل بالجامعة، ولم يقتصر عمله على التدريس والمختبر، بل أصبح عضوا في لجنة تألفت سريا للإشراف على سير الانتفاضة في المنطقة ومتابعة تطوراتها حتى جاء ذلك اليوم المشؤوم الذي سمع فيه خبر استشهاد حبيبته ريا. فسهر الليل يخاطبها: "سأعمل يا ريا بدل الساعة ساعتين، سأحيا بدل الحياة حياتين، سأنتقم من الذين قتلوك يا ريا ولو أخذني ذلك إلى الأبد، لقد فديتني يا عروس، فديتني بشبابك الذي قصفوه، سأحيا لك، سأحيا حياتك التي قطعوها"[39] .

أيقن الجنود الإسرائيليون بأن ربيعا وأمثاله باتوا يشكلون خطرا كبيرا عليهم خاصة وأنالناس أصبحوا يهمسون باسمه-ربيع- كمرجع ثابت للصراع والصمود، فسجنوا وقتلوا وعذبوا وكسروا ولاحقوا جميع المنتسبين لجماعته. أما هو فقد اشتد حزمه، وانعدم نومه لأنه أحس بهؤلاء الضعفاء الذين بقوا صامدين، فبقوا ثابتين يناضلون ولا يتنازلون عن حقهم على الرغم من تشريدهم. قررت القيادة العسكرية للعدو القبض على صانع القنابل ومهندس العمليات بأي ثمن لأنهم أحسوا بخطورة الوضع فاستمرار عمله بات يشكل ثورة ضدهم، "فازدادت ملاحقة ربيع، لم يكفوا على الاستفسار عنه، وملاحقة أمه والطلاب في الجامعة. والسؤال "أين غبيع" أصبح جزءا من الحياة اليومية"[40] . لكن السكان رفضوا الإدلاء بأي معلومة تخص ربيعا مما دفع بالدوريات إلى تكثيف الجهود والسعي من أجل القبض عليه.

تيقن ربيع أن قوات العدو لن تدعه وشأنه حتى تقضي عليه، فطلب رؤية أمه وأخبرها أن تبقى شامخة كما عهدها دوما لأنه سينتقم من هذا الآخر الذي سرق فرحه. فنجده يخاطبها: "لا تجزعي يا أمي، فأنا لا أريد إيلامك، وأقول لك مهما سمعت، ومهما ستسمعين فإني لن أقع في قبضتهم أبدا. وأعدك بل وأكرر وعدي بأنهم لم يشمتوا في تعذيبي أو قتلي كما فعلوا بريا، سأطير من بين أيديهم، سأقلقهم وأذيقهم الدواء المر..إن حياة واحدة لا تكفي للانتقام لريا، وحياتين وثلاثا وأربعا لا تكفي لتحرير فلسطين، ولهذا سأحيا حياة وراء حياة حياة وراء حياة حتى يظهر الحق ويزهق الباطل"[41] . مرت الأيام على قرية باطن الهواء وسكانها يترقبون ظهور ربيع لأنه يمثل بالنسبة لهم البطل الفلسطيني الذي طالما حلموا بوجوده على أرضهم. وفي صباح يوم مغيم، أخبرتهم امرأة أنها نزلت إلى الوادي مبكرا وقد لفه الضباب "وفي لحظة ما رأت ما ظنت أنه ربيع، يرفع يديه كأنه يلم الندى، يشتمه، ثم يفركه بيديه. نادت عليه، تبعته، ولكنها لم تجد شيئا"[42] ، فرددوا: "ربيع لم يمت، لم يقدر اليهود عليه...سيعود، سيعود ربيع"[43] ، وتذكروا الوعد الذي قطعه على نفسه أمام أمه وكلهم ثقة في صدقه، وأمل في عودته وأصبحت عبارة - سيعود ربيع- تحيتهم خاصة وأن أمه كانت هادئة ومطمئنة، وعندما يسألونها عن موعد عودته تجيب: "عندما يظهر الحق، ويزهق الباطل، وتتحرر كل الأرض، عندئذ سيطلع ربيع علينا من متاهات الوادي، راضيا مرضيا بوجه يفيض بشرا ونورا"[44] .

من خلال ما سبق، يظهر أن الكاتبة "ياسمين يعقوب زهران" أوضحت في روايتها صورة لبطل متعلق بأرضه تعلقا شديدا، بطل "يضمن انتصاره وتمسكه بأرضه وقدسية فلسطين، الأرض المقدسة"[45] . ويظهر هذا الانتصار من خلال اختفائه تاركا وراءه أملا كبيرا في قلوب سكان قريته بأن النصر سيكون حليفهم مهما طال الزمن وهذا بعد أن رسخ في أذهانهم فكرة النضال من أجل الأرض الحبيبة، فنجد أحد أصدقائه يقول:" لقد ذكرتنا يا ربيع أن علينا أن نمجد الحياة، وحب الحياة هو حب الأرض...اذهب مع الله، اذهب مع السلامة، وسنسير على دربك"[46] . وفي الوقت نفسه بقي يقض مضجع محتل أرضه ومشرده ومعذبه، حيث إن القوات الإسرائيلية عملت جاهدة على إيجاده من خلال حملة تمشيط واسعة للمنطقة، "فتتابعت العملية طيلة النهار حتى حل الظلام وغمروا الوادي بأضواء الكشاف.عادت العملية في اليوم التالي وبعده، والناس يترقبون خروج ربيع جثة هامدة محمولا على سواعد الجنود، ولكن لا شيء...امتد البحث إلى الأودية المجاورة، وإلى البيوت القريبة واحدا بعد الآخر ولكن دون جدوى"[47] .

2.3صورة الآخر اليهودي:

1.2.3 صورة المحقق الظالم :

تحدثت الكاتبة في الرواية عن أثر الانتفاضة في تزايد عدد سكان السجون الإسرائيلية، فقد اكتظت وامتلأت بالشباب والبنات بمن أسماهم الإسرائيليون بالمخربين، فمن لم يقع شهيدا تحت نارهم، كان نصيبه السجن أين اخترع سجانوهم ألوانا جديدة من التعذيب .

عاد ربيع متشوقا لرؤية أمه وحبيبته ريا بعد فراق دام خمس سنوات، لكن فرحته بالعودة تحولت إلى حسرة بعد أن "اقتيد من مطار "اللد" الذي مسخوا اسمه إلى "بن غوريون"، إلى أحد السجون المؤقتة في الضفة الغربية ينقل منه المعتقلون إلى السجن داخل إسرائيل"[48] ، وكان نصيبه في سجن ملئ حديثا بعدد كبير من شباب الانتفاضة وطلابها، وقد عرف عنه قباحة شكله وسوء هندسته وشدة برودته في الشتاء، وحره الذي لا يطاق صيفا .

تصف الرواية ظروف اعتقاله وسجنه حيث "أدخل ربيع إلى غرفة مظلمة، بها طاقة واحدة مغطاة بالأسلاك الشائكة.فرك عينيه، فهو لم ير شيئا لانتقاله من النور الساطع إلى الظلام، وغثت نفسه برائحة كريهة يمتزج فيها العفن والرطوبة، والعرق، والطعام البائت"[49]. وتحدثنا الرواية كذلك عن عمليات التعذيب الوحشي التي يتعرض لها الفلسطيني لإجباره على الاعتراف، وهذا ما وقع مع ربيع، فمنذ دخوله السجن زاد عناد وشغب المسجونين لأنه كان يشجعهم ويشحن عزيمتهم ويذكرهم دائما بالوطن الحبيب الذي يهون كل شيء في سبيل حرية شعبه.

كان المحققون متأكدين بأن ربيعا عمل وقدم كثيرا لصالح الانتفاضة أيام تواجده بألمانيا، فاقتادوه إلى التحقيق "وعندما عاد في المساء كتلة لحمية لا تستطيع الوقوف، التفت حوله الشباب يمسحون الأورام في وجهه والدماء التي جفت على رقبته"[50] . تعبر هذه الصورة عن قساوة المحققين وعنفهم ووحشيتهممن خلال استمتاعهم السادي بإحداث الألم للمعتقلين والمناضلين، حيث إنه في المعتقل قد يموت الفلسطيني أو يصاب بعاهة نتيجة التعذيب. وهذا حال بعض الشباب الذين كانوا معه بالغرفة، فواحد فقأت عينه لأنه طالب ثانوي كان في مظاهرة ورمى حجرا على الحافلة التي تقل الإسرائيليين، فضربه جندي الاحتلال برصاصة قلعت عينه، وثان رفضوا الإفراج عنه رغم حالته الصحية المزرية بحجة أنه يحمل الدم اليهودي على رأسه، وثالث ملقى على الأرض أعمى، ضربوه على رأسه حتى فقد بصره، وآخر حاول الوقوف بظهره المنحني وهو يروي لربيع قصته مع المحتل: "انظر إلى ظهري، لقد كسروه في المسكوبية. أنا لا أستطيع الوقوف إلا منحنيا، لقد حملوني إلى المسكوبية، عصبوا عيني وعلقوني من رجلي في السقف، ثم بدؤوا بالاستجواب والضرب.صحيح أنهم كسروا ظهري ولكني قهرتهم. لم أبح بكلمة واحدة"[51] ، ثم أخبره أن المحققين الذين كانوا يستجوبونه من يهود العراق ومصر، يتكلمون العربية، ولهم لذة خاصة بالتعذيب تفوق قدرة الأوروبيين منهم. تشير الكاتبة إلى اليهود الذين حضروا من كل مكان ليحتلوا أرضا ليست لهم، فهم يظنون أنهم من جنس سام بعد ما تعرضوا له من محرقة النازية وتشتيتها لهم، وأن من حقهم تعويض مأساتهم بحلم العودة إلى صهيون. فنجد واحدا من المسجونين يخاطب المحقق قائلا: "لماذا تقيمون الدنيا وتقعدونها على جرائم النازيين نحوكم، وأنتم ماذا تفعلون الآن؟ ألستم عنصريين مثلهم؟ هم ينادون بالآرية وأنتم بخصوصية الشعب اليهودي وتدعون أنكم شعب الله الخاص...هل لديكم تعويض من الله للتسلط على الآخرين؟"[52] .

من بين الصور المعبرة كذلك عن قساوة المحققين نجد مشهد استجواب "أيوب لهبيل"، وهو أحد سكان القرية وكان صديق "ريا" يتبعها في كل المظاهرات، "كانت ريا وأيوب الهبيل يشكلان الطليعة في كل مسيرة ومظاهرة، ولم يأبها بمنع التجول، وقد كادا يقتلان بالرصاص، ولكن أيوبا يبدأ بالرقص أمام الدورية، وكان منظره كافيا للدلالة على أنه مجنون لا يستحق الرصاصة"[53] . وبما أن القوات الإسرائيلية على علم بأنه يرافق دوما ريا ويعرف مكان ربيع، قاموا بإلقاء القبض عليه واستجوابه، وعندما لم يبح بشيء،"ضربه المحقق على رأسه حتى كادت أسنانه أن تسقط...أجب يا كلب، ولطمه مرة أخرى على وجهه فسالت الدماء من فمه وأنفه"[54] . وعندما يئسوا من المحاولة معه "هجموا عليه: أتهزأ بنا يا ملعون! ضربوه حتى أغمي عليه، ورموه بالسجن."[55] , فحتى هذا المجنون لم يسلم من قسوتهم وظلمهم.

قدمت "ياسمين يعقوب زهران" من خلال هذه المشاهد صورة معبرة عن قساوة ميزت المحقق في تعذيبه للفلسطينيين، واستنطاقهم بالضرب والسب والشتم؛ صورة توضح الرعب الذي زرعه هؤلاء المحققون في نفوس السجناء الفلسطينيين والمعاملة العنيفة لهم. لكن الفلسطيني من خلال الرواية لم يخضع لهذه السادية التي أرادت أن تمسخ هويته، فربيع مثلا كان يتوعد في كل مرة يستمع فيها إلى قصة سجين فلسطيني أنه لن يتوانى عن إلحاق هذا المحتل أضعاف ما أذاقه لهؤلاء المظلومين، فكان يتنقل بين أصحابه في الغرفة مرددا: "لقد دفعت ثمنا غاليا من أجل الحبيبة، هات يدك الصغيرة، ستعمل معي في المختبر عندما نخرج من السجن، وسأدربك على صنع القنابل لعلنا نصيب بأحدها من قلع عينك، إني أعدك وأحلف لك بالغالية أن تضحيتك لن تذهب سدى"[56] .

2.2.3 صورة الجندي المهدم و قاتل الفرح :

يظهر الآخر في كل ثنايا الرواية مهدما ومدمرا للمدن والقرى، قاتلا للأبرياء، ومحتلا للأرض الفلسطينية بعد أن يقتل أبناءها، أو يشردهم منها، ثم يسعى إلى تهجير من بقي من خلال ممارسته مختلف أنواع الاضطهاد كتضييق سبل العيش عليهم وعزلهم. فالشباب الفلسطيني عندما يواجه صعوبات في إيجاد عمل يضطر إلى التوجه نحو الدول المجاورة سعيا وراء جمع قوته، أو يلاحق ويقيد ليسجن ويغتال. وهذه الأفعال الوحشية للمحتل عملت على تفريق العائلة الفلسطينية، فلا تكاد توجد واحدة منها يجتمع كل أفرادها في بلد واحد فما بالك في مدينة أو قرية واحدة، لأن جلهم هاجروا الوطن بحثا عن الرزق، وحياة أفضل من حياة الذل والفقر والتشرد المفروضة عليهم. فهذا المحتل يمثل النموذج الرافض للقضية الفلسطينية، والذي يكره شعبها ويسعى جاهدا لإنهاء وجوده.

بعد خروج ربيع من السجن عاد إلى باطن الهواء وفي قلبه حسرة على من ترك وراءه ليجد قريته تغيرت كثيرا، "قرية فارغة، فأكثر الشباب إما في السجن أو فارون خارج القرية"[57]، فالاحتلال الصهيوني قام بمصادرة أغلب الأراضي الزراعية وحولها إلى مستوطنات، ومن بينها قطعة أرض فلاحية تعود ملكيتها إلى والد ربيع. لكنه تفاجأ عندما أخبرته أمه بأن المحتل استولى عليها قائلة: "ألم أخبرك أنهم صادروا الأرض وبنوا عليها مستوطنة؟ صاح ربيع: صادروها كلها، ألم يبق لنا شيء؟ لا يا ولدي لم يبق لنا شيء، عليها الآن مستوطنة طويلة عريضة، يسرح بها أشد اليهود تعصبا وكراهية"[58]. فهذه الصورة سادت وطغت على المحتل الصهيوني لأن من بين أهدافه المخططة، اغتصاب الأراضي وامتلاكها، وتلك حقيقة واضحة يعرفها الجميع .

سار الزمن واشتدت المجابهات مع جيش الاحتلال وازدادت العمليات التفجيرية، فازداد الضغط على فرقة ربيع وسلطت عليهم مراقبة شديدة، حيث دفعت إسرائيل جيشها إلى المزيد من الهدم والقتل والتحطيم. ويظهر الجنود الإسرائيليون في الرواية بصورة فيها الكثير من السوء والبشاعة وانعدام الرحمة في مشاهد كثيرة من بينها لحظة إمساكهم بريا من أجل أن تدلهم على مكان ربيع، وعندما رفضت ذلك وقامت بسبهم ونعتهم بصفات سيئة وبصقت في وجوههم، قاموا برميها على الأرض، ثم قام أحدهم "بضربها ضربة قاضية على رأسها، سالت الدماء، وصاحت في حشرجة إذ احتقنت الدماء في عنقها...ماتت العروس"[59]. لقد حاولت الكاتبة من خلال هذه الصورة توضيح الطرق البشعة التي ينتهجها الجنود الإسرائيليون في تعذيب الأبرياء ونزع أرواحهم دون أدنى شفقة منهم، لأن هدفهم الوحيد كان الوصول إلى غايتهم المتمثلة في القضاء على جميع المتمردين على سلطتهم وأوامرهم.

من خلال ما سبق يتضح أن صورة الآخر اليهودي برزت على مستوى المتن الروائي ضمن صورتين محوريتين وهما: صورة المحقق السادي والظالم، وصورة الجندي المدمر والقاتل، وذلك من خلال السرد المباشر والوصف، وأحيانا من خلال الحوار بين عدة شخصيات. فنتجت صورة سلبية عن هذا الآخر المعادي تهدف إلى إثارة مجموعة من مشاعر العداء والكره اتجاهه، ومشاعر الولاء والتضامن والتوحد اتجاه الذات من خلال صوت وفي للوطن فلسطين. وقد اتجهت الرواية إلى فضح بعض جرائم هذا المحتل من تعذيب للأفراد والتنكيل بهم وقتلهم دون رحمة، وكذلك تدمير المدن والقرى واغتصابه للأراضي والممتلكات الفلسطينية.

4. خاتمة:

تم من خلال هذا البحث عرض مفهوم الأنا والآخر -بإيجاز- وصورة كل منها في الرواية، ومن ثم حاولنا أن نبين هوية الكاتبة من خلال البحث عن صورة الأنا الفلسطينية التي رسمتها عبر رواية "باطن الهواء (من أيام فلسطين)" من خلال مجموعة من الشخصيات يأتي في مقدمتها البطل "ربيع"، حيث ظهرت هذه الأنا تحمل ولاء وانتماء إلى الوطن المحتل، قوية تتحدى الفقر والقهر، وتقاوم لتنتصر على اليأس والإحباط، وصامدة في وجه الآخر اليهودي الذي بدت صورته ظالما ومدمرا وقاتلا. وقد توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن إبرازها فيما يأتي:

- ركزت الرواية على موضوع الهوية الفلسطينية باعتبارها موضوعا إنسانيا، وكذلك باعتبارها النقطة المناسبة لتقديم الصراع القائم بين الأنا والآخر في القضية الفلسطينية، والتي برزت حقيقته من خلال ثنائية الصراع والتنافر.

- إن إحساس الأنا الفلسطينية بالانتماء إلى وطن مسلوب عزز لديها هويتها، وجعلها تحافظ عليها في مختلف أماكن وجودها، الأمر الذي دفع بها إلى الصراع مع الآخر اليهودي ورفضه لأنه طالما تعامل معها من منطلق الإقصاء والتهميش والإنكار.
- أكدت الكاتبة في هذه الرواية موضوع الهوية الفلسطينية التي ظلت صامدة أمام المحتل الصهيوني الذي حاول طمسها وإلغاءها بشتى الطرق والوسائل، وذلك من خلال إخضاع الشخصيات الروائية لطرق سردية تعبر عن ذاتها.

الهوامش:

1 جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، مادة (أ، ن، ن) ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990، ص160.

2 عمرو علام: الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر) ، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص09.

3 محمد المشاقبة: مبادئ الإرشاد النفسي للمرشدين والأخصائيين النفسيين، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص38.

4 أمين دراوشة: الأنا والآخر في الرواية الفلسطينية، وزارة الثقافة الفلسطينية، ط1، 2016، ص5.

5 سهاد توفيق الرياحي: ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء المعري (دراسة موازنة نقدية) ، دار جليس الزمان، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص17.

6 فتحي أبو العينين: صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، في: الطاهر لبيب(محررا)، صورة الآخر: العربي ناظرا أو منظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999، ص812.

7 المرجع نفسه، ص812.

8 دراوشة: الأنا والآخر في الرواية الفلسطينية، ص7.

9 جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص140.

10 المرجع نفسه، ص140.

11 المرجع نفسه، ص ص140، 141.

12 بول ريكور، الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005، ص269.

13جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور: لسان العرب، مادة (أ، خ، ر) ، ص38.

14 علي حرب: العالم ومأزقه: منطق الصدام ولغة التداول، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ص281.

15 حيدر إبراهيم علي: صورة الآخر المختلف فكريا: سوسيولوجية الاختلاف والتعصيب، في الطاهر لبيب وآخرون، صورة الآخر: العربي ناظرا و منظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط2، سبتمبر2008، ص111.

16 سعد البازعي: مقاربة الآخر مقارنات أدبية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999، ص12.

17 محمد مسلم: الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2009، ص87.

18 المرجع نفسه، ص91.

19 ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية) ، عالم المعرفة، الكويت، 2013، ص17.

20جان فارو: الآخر بما هو اختراع تاريخي، في الطاهر لبيب وآخرون، صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط2، سبتمبر2008، ص51.

21 نهال مهيدات: الآخر في الرواية النسوية العربية (في خطاب المرأة والجسد والثقافة) ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص12.

22 مصطفى عمر التير: البعد الجغرافي وصورة الآخر- مقاربة امبيريقية، في الطاهر لبيب وآخرون، صورة الآخر: العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ط2، سبتمبر2008، ص419.

23 همت بسيوني عبد العزيز: الشخصية المصرية وصورة الآخر، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص67.

24 المرجع نفسه، ص68.

25 أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص107.

26 بول ريكور، الهوية والسرد، تر: حاتم الورفلي، دار التنوير، بيروت، لبنان، دط، 2009، ص26

27 فتحي أبو العينين: صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، في: الطاهر لبيب(محررا)، صورة الآخر: العربي ناظرا أو منظورا إليه، ص813.

28 صلاح صالح: سرد الآخر (الأنا والأخر عبر اللغة السردية) ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص54.

29 ينظر: بول ريكور، الوجود والزمان والسرد (فلسفة بول ريكور) ،تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العرب، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص29.

30ينظر: أمين دراوشة: الأنا والآخر في الرواية الفلسطينية، ص18.

31ياسمين يعقوب زهران: باطن الهواء (من أيام فلسطين) ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012، ص34.
32المصدر نفسه، ص80.
33المصدر نفسه، ص80.
34 المصدر نفسه، ص90.
35 المصدر نفسه، ص90.
36 فيصل عباس: الاغتراب (الإنسان المعاصر وشقاء الوعي) ، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1، 2008، ص269.
37 ياسمين يعقوب زهران: باطن الهواء (من أيام فلسطين) ، ص97.
38 ينظر: لطيفة إبراهيم خضر: هويتنا إلى أين؟ عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2009، ص353.
39 ياسمين يعقوب زهران: باطن الهواء (من أيام فلسطين) ، ص155.
40المصدر نفسه، ص156.
41المصدر نفسه، ص160.
42المصدر نفسه، ص163.
43 المصدر نفسه، ص164.
44 المصدر نفسه، ص164.
45 فيصل دراج: الذاكرة القومية في الرواية العربية من زمن النهضة إلى زمن السقوط، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص207.
46 ياسمين يعقوب زهران: باطن الهواء (من أيام فلسطين) ، ص132.
47 المصدر نفسه، ص162.
48 المصدر نفسه، ص101.
49 المصدر نفسه، ص102.
50المصدر نفسه، ص112.
51المصدر نفسه، ص106.
52المصدر نفسه، ص106.
53 المصدر نفسه، ص70.
54 المصدر نفسه، ص156.
55 المصدر نفسه، ص157.
56 المصدر نفسه، ص103.
57 المصدر نفسه، ص141.
58 المصدر نفسه، ص116.
59 المصدر نفسه، ص152.